

(تشقق السماء ونزول الملائكة منها)

(ما قاله المفسرون في ذلك)

قال تعالى في سورة الفرقان ٢٦ (ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا).

اختلف المفسرون فيما هو المراد من هذه الآية الكريمة فقال بعضهم أي يوم تشقق السماء عن الغمام لأن السماء لا تشقق بالغمام بل تشقق عنه فقال بعضهم لا مانع من أن يجعل الله في الغمام قوة بحيث تشقق السماء بقدره الله تعالى وقال آخرون المعنى أن السماء يوم القيامة تشقق من جميع الجهات فلا يكون فيها حائل يمنع من نزول الملائكة من كل جهاتها بخلافها في الدنيا فإن الملائكة تنزل منها من مواضع مخصوصة.

وقال آخرون تشقق كل سماء يوم القيامة وتنزل كل سكانها إلى الأرض ويحيطون بالعالم ويصيرون سبع صفوف ويمد الله لهم في طول الأرض وعرضها حتى تسعهم جميعا وقال آخرون أن الملائكة يكونون في الغمام فوق أهل القيامة ويكون ذلك الغمام مقرا ومسكنا لهم والمحاسبة تكون في الأرض هذا ما قاله المفسرون في بيان معنى هذه الآيات.

وأنت ترى أن هذه التفسيرات ليست تفاسير مقنعة وليست خالية من الانتقاد ولا داعي لتشقيق الماء لأجل نزول الملائكة منها ما دام يمكنهم النزول من المواضع المخصوصة التي كانوا ينزلون منها كما أنه لا داعي لتمديد طول الأرض وعرضها حتى تسعهم جميعا لأنه لم يقل ينزلون كلهم إلى الأرض على أن تشقيق جرم السماء الحقيقي بالغمام كما يقول المفسرون أمر غير معقول ولا مقبول ولا داعي إليه ولا دليل عليه.

(ما أفهمه في ذلك خلافا للمفسرين)

إنني أقول أن السماء في اللغة يطلق على كل مرتفع سواء كان الارتفاع حسبا كسماء الشمس والقمر والنجوم وسماء الغمام والسحاب أو ارتفاعا معنويا كسماء العلم والفضل والدين وكثيرا ما يطلق القرآن لفظ السماء أو السموات ويريد السموات المعنوية تشبيها لها بالحسية وعليه فيحتمل هنا أن يراد من السماء التي تشقق بالغمام سماء العلم والفضل والدين وأن يراد بالغمام ظلمة الجهل والكفر وغمام الشبهات والشكوك في الدين أي يوم تمزق الفضيلة وتقطع أوصال الدين وتنزل ملائكة العذاب لإهلاك الكافرين المعاندين كما نزلت لتعذيب السابقين تارة بالخسف وأخرى بالمسخ وأخرى بجعل الأعالي أسفل سافلين إلى غير ذلك من أنواع العذاب المهين.

وعليه فليس المراد من نزول الملائكة نزولهم جميعا من السماء حتى تشقق لهم السماء لئلا يكون هناك حائل من سرعة نزولهم دفعة واحدة على الأرض كما يقول المفسرون وإنما المراد نزول بعض الملائكة لعذاب الكافرين والمجرمين بدليل قوله في آخر الآية (وكان يوما على الكافرين عسيرا) وبدليل قوله قبيل هذه الآية أيضا (يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين) فسباق هذه الآيات يشعر بأنه في اليوم الذي تمزق فيه الفضائل وتشقق فيه أوصال الدين بغمام الشبهات والشكوك والإلحاد وظلمات الشرك والكفر والمعاصي وتنزل الملائكة لعذاب هؤلاء الجاحدين الأوغاد يكون الملك الحق أي لا الملك الباطل يومئذ للرحمن وأهل الإيمان وهم المسلمون كما قال تعالى فاطر ١٠ (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) وكما قال أيضا المجادلة ٢١ (كتب الله لأغلبن أنا ورسلي) وبالطبع يكون ذلك اليوم يوما عسيرا على الكافرين والمجرمين ويكون يوم ملك وعزة ويسر على المؤمنين والمتقين. والمراد من هذه الآية بينا سنة من السنن الإلهية التي حصلت يوم ظهور محمد عليه الصلاة والسلام حينما كان العالم أجمع في ظلمات الجهل والكفر والطغيان وكان التشقق والتصددع شاملا لجميع الأديان فكان لزاما أن يأتي هذا الرسول وأن تنزل الملائكة تنزيلا بعضها للوحي والتبليغ وبعضها للإنذار والتعذيب ومن الطبيعي أن يكون ذلك اليوم عسيرا على الكافرين

والجاحدين وشديدا على الضالين المضلين وعصيبا على الأثمين المجرمين، وقد يكون المراد من الملائكة في هذه الآية هم ملائكة الإصلاح الداعون للإيمان بالله وللدخول في دينه وللعلم بتعاليمه مثل صحابة رسول الله (ص) ومن كان على شاكلتهم من الذين يصلحون ما فسد من أمور الناس يوم تشقق دينهم بغمام الشبهات والشكوك والخلافات ويوم تمزق شؤونهم بأنواع الفساد والتباغض والشقاق والفساد فهو لاء المصلحون المؤمنون المخلصون الساعون لإعلاء كلمة الله لا مانع من تسميتهم ملائكة تنزل من عند الله وعلى كل فالله أعلم بمراده.